خاتمة

بالكلام عن صناعة ابن الرومى تمت الصورة التى استخرجناها له من مجموعة شعره ومتفرق أخباره. وحسبنا أن نتمم هذه الصورة لنكون قد بلغنا الغاية من وضع هذا الكتاب وأقمنا - فى عرض الطريق - أوضح الأدلة المحسوسة على وحدة المقاييس بين تعبيرات الشعر وتعبيرات الحياة. ونحسب أننا قد أقمنا هذا الدليل فى وقت الحاجة إليه عند قراء الأدب الغربى بيننا، وقبل قراء الأدب العربى وحده بفرعيه من قديم وحديث. لأننا نعيش فى عصر شاع فيه بين كثير من الأوروبيين أن الشعر شىء بمعزل عن خوالج الحياة، وأننا لا ينبغى أن ننتظر منه مطلبًا آخر غير الرونق والطلاوة، وما إلى ذلك من ظواهر قسامة لا تتجاوز البشرة إلى ما وراءها من قلوب ونفوس وضمائر.

وغير عجيب أن يشيع هذا الرأى بين الأوروبيين، فى العصر الذى نحن فيه وهو هو عصر السآمة و "الفردية" وآداب الصالونات والمحالس. إذ ماذا تنتظر من شعر يقرأه إنسان قد سئم المثل العليا وكذب بالأغراض الرفيعة وفترت فيه قوة العقيدة؟ وماذا تنتظر من شعر يقرأه إنسان تفرض عليه "الفردية" أن يظل فردًا معزولا بين أفراد معزولين؟ وماذا تنتظر من شعر يقرأه إنسان أنيق لا يريد أن يسمع من جليسه فى الصالون أو النادى أو القهوة إلا شقشقة لسان وأحاديث فراغ؟ إنك لا تنتظر من هذا الإنسان أن يتطلب فى الشعر ما يتطلبه الإنسان الذى تنشط نفسه للعقيدة ولو نشاط المكافحة والثوران أو يتطلبه الإنسان الذى تتصل بينه وبين الأحياء من حوله وشائج دو لا تزال تنقل منه الهيم كما تنقل منهم إليه، أو يتطلبه الإنسان الذى يحس أن الكون مجال حياة وأسرار يولد فيه مخلوقًا حيًا عريق الأصول فى آباد ليس لها نهاية، لا عضوًا فى "صالون" أو جليسًا فى قهوة أو سميرًا فى سهرات مجون .. كلا! إنك لا تنتظر من إنسان السآمة والفردية والصالون أن يقرأ

شعـرًا كالذى يقـرأه إنسان النشاط الـقلبى والوشائج الآدميـة والكون الأبدى المستهـول الوضوح والخفاء على السوء، فـغير عجيب كـما قلنا أن يشيع رأى أصحـاب الرونق والطلاء فى هذا العـصر، وما بقى فـيه للإنسـان من مطلب عزيز مـتفق عليـه غير مطلب الـراحة الملساء والهـدوء الناعم من مزعـجات الجهاد.

فإذا كنا، مع استخراج صورة ابن الرومـى من شعره، قد وفقنا لإظهار الوحدة العامة بين الشعر والحيـاة أو بين الفن والحياة كلها - فذلك حسبنا من مقصد جدير بالالتفات خليق أن يتقرر بيننا قبل أن يشيع فى أذواقنا رأى السأم والأثرة وأناقة المتبطلين.

لكننا نرجـو أن نكون قـد وفـقنا لإرضـاء التاريخ إلى جـانب إرضـاء التصوير وإرضـاء الوحدة بين الشعر والحياة، وحـسنًا فى هذا أيضًا أننا سندع ترجمة ابن الرومى هنا خيرًا مما تسلمناها من شـتات الماضى صحة فى الأخبار ورجحـانًا فى الاحتمـالات، ومن هذه الأخبار أخـبار تتعـلق بمولده ووفاته، وأخبار أخرى تتعلق بأخـلاقه ومعيشته، ومنها أخـبار تلقاها الناقلون بالتسليم وجرت فى التراجم مجرى المقرورات ولا مصدر لها إلا خطأ عارض فى طبع بعض التواريخ. كـالخبر الذى ينقل عن ابن خلكان ويقال فـيه أن المتنبى روى عن ابن الرومى شعره وبينهما ما بينهـما من بعدى الزمان والمكان . . فيأخذه الناقلون ويقبله منهم من يقبل ويحار فـيه من يحار، وإنما هو اسم "المسيبى" حرفه الطابعون إلى اسم "المتنبى" فسـرى الخطأ سريانه فى الكتب الحديثة بلا شذوذ . . وغيـر ذلك كثير ليس يعنينا فى صدد هذه الخاتمة أن نحصـيه وما شاكله ونحا نحوه فى جميع المصادر والـنقولات، لأننا نقصد إلى تصحيح ما لاح لنا خطأه ولا نقصد إلى إحصائه على المخطئين.

* * *

وبعد فمن تمام التعريف بابن الرومى أن نختم كتابنا بمختارات له لم نعتمد فيها الدلالة التاريخية التى توخيناها فى شواهد الفصول السابقة، ولا ريب أن هذه الشواهد معرض حسن تبدو فيه شاعرية المترجم فى نواحى كثيرة منوعة. ولكننا نعتقد أن المختارات التى تقرأ لذاتها لا لموقعها من الترجمة أخرى أن تتم المعرفة بشاعريته من جميع نواحيها. وها هى أولاء تلك المختارات معروضة فيما يلى لتدل على معدن شعره لا على أحسن ما فيه.

* * *

الربيع شباب الطبيعة

ضحك الربيع إلى بكى الديم ... وغدا يسوى النبت بالقمم
ما بين أخضر لابس كمما ... خضراً، وأزهر غير ذى كم
متلاحق الأطراف متسق ... فكأنه قد طم بالجلم[1]
متبلج الضحوات مشرقها ... متأرج الأسحار والعتم
تجد الوحوش به كفايتها ... والطير فيه عتيدة الطعم
فظباؤه تضحى بمنتطح ... وحمامه تضحى بمختصم
والروض فى قطع الزبجد والـ ... ياقوت تحت لآلئ تؤم
طل يرقرقه على ورق ... فكأنه در على لمم
حشد الربيع مع الربيع له ... فغدا يهزز ثابت الجمم[2]
والدولة الزهراء والزمن المز ... هار حسبك شافيى قرم
إن الربيع كالشباب وأن الـ ... صيف يكسعه كالهرم
أشقائق النعمان ين ربى ... نعمان! أنت محاسن النعم
غدت الشقائق وهى واصفة ... آلاء ذى الجبروت والعظم
ترف لأبصار كحلن بها ... ليرين كيف عجائب الحكم
شعل تزيدك فى النهار سنى ... وتضىء فى محلولك الظلم
أعجب بها شعلا على فحم ... لم تشتعل فى ذلك الفحم

---

(١) يطمه بالجلم يعلوه بالمقص.

(٢) جمم: جمع جمة، والمقصود بها هنا رءوس الشجر.

وكـــــأنما لمع الســـــواد إلى ... ما أحمـر منها فى ضحى الرهم[1]

حـدق العـواشق وسـطت مـقـلا ... حـدق العـواشق وسـطت مـقـلا

هاتيـك أو خـيـلان غـالـيـة ... أضـحت بهـا الـوجنات فى ذمم

يا لـلشـقـائق أنـهـا قـسم ... تزهى بهـا الأبصـار فى الـقـسم

مـا كـان يـهـدى مـثلهـا تحـفـا ... الا تـطـول بـارئ الـنـسـم

السحاب

مـتـهلل زجل، تحـن رواعـد ... فى حـجـزتيـه، وتـسطيـر بروق

سـدت أوائله سـبـيل أواخـر ... لم يدر سـائقـهـن كـيف يسـوق

فـسبـحـا، وأسعـد حـالبيـه بدرة ... منه - سـواعـد ثرة وعـروق

وتنفـست فيـه الصبـا فتـبحبـست ... منه الكلـى، فـأديمـه مـعـقـوق

حـتى إذا قـضـيت لقـيـعـان الملا ... عنه حـقـوق بعـدهن حـقـوق

طفـفـت روایاه تجـر مـزادها ... فـوق الربى، مزادها(١) مـشقـوق

وتضاحك الروض الكئيب لصوبه ... حـتـى تفـتق نوره المـرتوق

وتنسـمـت فـحـاته فكـأنه ... مـسك تضـوع، فـأره مـفـتـوق

وتغـرد المكاء فـيـه كـأنه ... طرب تعـلل بالغـناء مـشـوق

---

(١) المطر الخفيف الدائم.

(٢) المزاد ما يوضع فيه الزاد.

روضة

وروضة عذراء غير عائسة جادث لها كل مساء راجسة
رائحة بالغيث أو مغالسه

فأصبحت من كل وشى لابسة خضراء ما فيها خلاة يابسة
ضاحكة النوادر غير عابسة كأنها معشوقة مؤانسة
فيها شموس للبهار وارسة كأنها جماجم الشمامسة
تروقك النورة منها الناكسة بعين يقظى ويجيد ناعسة
لؤلؤة الطل عليها فارسة

وخرم[1] فى ضيغة الطيالسة يحكى الطواويس غدت مطاوسة
كأنما تلك القروع المائسة تغمسا فى اللازورد غامسة
وصفوة النعمان والقوابسة من ناصع الحمرة ريا قالسة[2]
تكاد تحت الظلمات الدامسة تهوى إليها كل كف قابسة

النرجس

يا حبذا النرجس ريحانة لأنف مغبوق ومصبوح
كأنه من طيب أرواحه ركب من روح من روح
يا حسنه فى العين يا حسنه! من لامح للشرب ملموح
كأنما الطل على نوره ماء عيون غير مسفوح

---

(١) نبت كاللوبية ملون حسن الشم والمنظر.

(٢) ملاى طافحة.

الهاجرة فى الصحراء

وهاجرة بيضاء يعدى بياضها ... سواداً كأن الوجه منه محمم

أظل إذا كافحتها وكأننى ... بوهاجها دون اللثام ملثم

بديمومة لا ظل فى صحصحانها ... ولا ماء لكن قورها[1] الدهر عوم

ترى الآل فيها يلطم الآل مانجا ... وبارحها المسموم للوجه الطم

خابط الليل فى الفيافى

وليل - غشا ليل من الدجن فوقه ... فليس لنجم فى غواشيه منجم

عفا جلبه آى الهدى من سمائه ... وأعلامه من أرضه فهى طسم

لبست دجاه الجون ثم هتكته ... بوجباء ينميها غرير وشدقم[2]

عذافرة تنقض من كل زجرة ... كما انقض مردى[3] المنجنيق الململم

يخوض عليها لجة الهول راكب ... هو السيف إلا أنه لا يثلم

نجيب من الفتيان فوق نجيبة ... من العيش، فى يهماء، والليل أيهم

فريدين، يمضيها وتمضيه فى الدجى ... كسمراء يمضيها وتمضيه لهذم

يريها الهدى حدساً، وتنجو برحله ... ودون الهدى سد من الليل مبهم

على ظهر مرت[4] ليس فيه معرج ... ولكن مخب للركاب ومسعم[5]

ينوج به بوم وتعزف جنة ... فيغوى لها سيد ويصبح سمسم[6]

يخال بها من رز هذا وهذه ... إذا اختلف الصوتان عرس ومأتم

تعسفته أما لخفض أناله ... وما سآم الخفض، والخفض يسأم

---

(١) أصاغر الجبال. (٢) فحلان مشهوران من الأبقار.

(٣) المردى حجر يرمى به.

(٤) أرض قفر لا نبات بها. (٥) السمم السريع السير. (٦) ثعلب.

الأسفار

إذا قـتنى الأسـفار مـا كـره الغنى ... إلى، وأغـــرانى برفض المـطالب
فـأصبـحت فى الأثراء أزهد زاهد ... وإن كنت فى الإثـراء أرغب راغب
حريصًـا جبـانًا. اشتهى ثـم انتهى ... يلحظنى جناب الرزق لحظ المراقب
ومن راح ذا حـــرص وجبن فـــإنه ... فـقـير أتاه الفـقـر من كل جـانب
تنازعنـى رغب ورهب كـلاهـمـا ... قـوى: وأعـيـانى اطلاع المغـايب
فـقدمت رجـلا رغبـة فى رغبـة، ... وأخـرت رجلا رهـبة للمـعـاطب
أخاف على نفـسى وأرجو مـفازها ... واستـار، غيب الله دون الـعواقب
إلا من يرينى غايتى قـبل مذهبى! ... ومن أين؟ والغـايات بعـد المذاهب

سفر البر

ومن نكبـة لاقـيـتهـا بعـد نكبـة ... رهبت اعتـساف الأرض ذات المناكب
وصبرى على الاقتتـار أيسر محملا ... على من التـغـرير بعد الـتجـاريب
لقـيت من البر التـبـاريح بعد مـا ... لقيـت من البحر أبيـاض الذوائب
سـقيـت - على رى به ألف مطرة ... شـغفت لبـعضـها بحب المجـادب
ولم أسقـها، بل سـاقها لـكيدتى ... تحـطمـق دهر جـد بى كـــالملاعب
إلى الله أشكو سـخف دهرى فإنه ... يعـابثنى مـذ كنت، غـيـر مطايب
أبى أن يغيث الأرض، حتى إذا ارتمت ... بزحلى أتاها بالـغيـوث السـواكب
سقى الأرض من أجلى فـأضحت مزلة ... تمايل صـــاحـبـهـا تمـايل شـارب
لتعويق سيـرى أود حوض مطيتى، ... وأخصـاب مزور عن المجـد ناكب
فـــملت إلى خـــان مـــرث بناؤه ... مميل غـريق الثـوب لهفـان لاغب

فلم ألق فيه مسترحًا لمتعب ... ولا نزلا، إيان ذاك لساغب؟
فما زلت في خوف وجوع ووحشة ... وفي سهر يستغرق الليل واصب
يؤرقني سقف كأني تحته ... من الوكف تحت المدجنات الهواضب
تراه إذى ما الطين أثقل متنه ... تصر نواحيه صرير الجنادب
وكم خان سفر خان فأنقض فوقهم ... كما انقض صقر الدجن فوق الأرانب
ولم أنس ما لاقيت أيام صحوه ... من الصر فيه والثلوج الأشاهب
وما زال ضاحي البر يضرب أهله ... بسوطي عذاب جامد بعد ذائب
فإن فاته قطر وثلج فإنه ... رهين بساف تارة وبحاصب
فذاك بلاء البر عندي شاتيًا، ... وكم لي من صيف به ذي مثالب
ألا رب نار بالقضاء اصطليتها ... من الضج يودي لفحها بالحواجب
إذا ظلت البيداء تطفو أكامها ... وترسب في غمر من الآل ناضب
فدع عنك ذكر البر، أني رأيته ... لمن خاف هول البحر شر المهارب
كلا نزليه صيفه وشتاؤه ... خلاف لما أهواه غير مصاقب
لهاث مميت تحت بيضاء سخنة ... وري مفيت تحت أسحم صائب
يجف إذا ما الريق أصبح عاصبًا، ... ويغدق لي والريق ليس بعاصب
فيمنع من الماء واللوح جاهد، ... ويغرقني والري رطب المحالب
وما زال يبغيني الحتوف مواربًا ... يحوم على قتلي - وغير موارب
فطورا يغادينى بلص مصلت، ... وطورًا يمسيني بورد الشوارب
إلى أن وقاني الله محذور شره ... بعزته، والله أغلب غالب
فأفلت من ذؤبانه وأسوده ... وخرابه أفلات أتوب تائب

السفر بحراً بدجلة

وأمـــا بلاء البـحـــر عندى فـــإنه ... طوانى على روع مع الروح واقب[1]

ولو ثاب عقلى لم أدع ذكـر بعضه ... ولكنـه من هوله غـــيـــر ثـائب

ولم لا؟ ولو ألقيـت فيه وصـخرة ... لوافـــيت منه القـعـــر أول راسب

ولم أتعلم قـط من ذى سـبـاحـة ... سوى الغوص، والمضعوف غير مغالب

فـأيســـر إشـفـاقى مـن الماء أننى ... أمـر به فى الكـوز مـر المجـانب!

وأخشى الردى منه على كل شارب ... فكيـف بأمنيـــه على نـفس راكب

أظـل إذا هـــزتـه ريـــح ولألأت ... له الشمس أمـواجًا طوال الغوارب

كـأنى أرى فيـهن فـرسـان بهمـة ... يليحون نحوى بالسيوف القواضب

فإن قلت لى قد يركب إليهم طاميًا ... ودجلة عند اليـم بعض المذانب[2]

فلا عذر فيهـا لامرئ هاب مثلها، ... وفى اللجة الخـضراء عـذر لهائب

فـإن احتـجاجـى عنك ليس بنائم ... وإن بيـــانـى ليس عنـى بعـــازب

لدجلـة خب ليس لـليم، أنهـــا ... تراءى بحلـم تحـتـه جـــهل واثب

تطامـن حـــتى تطمـــئن قلـوبنا، ... وتغضب من مـزح الرياح اللواعب

وإحـــرقـاها رهن بـكل خـيـــانة ... وغدر - فـفيـها كل عيـب لعائب

يرانا - إذا هاجت بها الريح هيـجة ... تزلزل فى حـومـاتـهـا بالقـوارب

نوائل[3] من زلزالها نحو خـسفها ... فلا خـير فى اوسـاطها والجـوانب

زلازل مـوج فى غـــمـار زواخـر ... وهدأت خسف فى شطوط خوارب

ولليم أعـــذار بعـــرض مـتـــونه ... ومـــا فـــيـه مـن آذيه المتـــراكب

---

(١) غائر أو مستكن. (٢) المذنب مسيل الماء إلى الأرض.

(٣) وائل من الشيء إلى الشيء لجأ.

ولست تراه فى الرياح مزلزلا ... بما فيه - ألا فى الشداد الغوالب
وإن خيف موج عيذ منه بساحل ... خلى من الأجراف ذات الكباكب
ويلفظ ما فيه، فليس معاجلا ... غريقًا بغت يزهق النفس كارب
يعلل غرقاه إلى أن يغيثهم ... بصنع لطيف منه خير مصاحب:
فتلقى الدلافين الكريم طباعها ... هناك رعالا عند نكب النواكب
مراكب للقوم الذين كبابهم. ... فهم وسطه غرقى وهم فى مراكب
وينقض ألواح السفين فكلها ... منج لدى نوب من الكسر نائب
وما أنا بالراضى عن البحر مركبًا ... ولكننى عارضت شغب المشاغب

صيد الطير

وقد اغتدى للطير والطير هجع ... ولو أوجست مغداى ما بتن هجعا
بخليين تما بى ثلاثة أخسوة ... جسومهم شتى وأرواحهم معا
مطيعين أهواء توافت على هوى ... فلو أرسلت كالنبل لم تعد موقعا
إذا ما دعا منا خليل خليله: ... بأفديك. لباه مجيبا فأسرعا
كأن له فى كل عضو ومفصل ... وجارحة قلبًا من الجمر أصمعا
فشاروا إلى آلاتهم فتقلدوا ... خرايط حمرًا تحمل السم منقعا
محملة زادًا خفيفًا مناطه ... من البندق الموزون قل وأقنعا
وقد وقفوا للحائنات[1] وشمروا ... لهن إلى الإنصاف ساقا وأذرعا
وجدت قسى القوم فى الطير حدها ... فظلت سجودًا للروماة وركعا
فظل صحابى ناعمين ببؤسها ... وظلت على حوض المنية شرعا

---

(١) للطير الحائنات.

طرايح من أسود وبيض تواصع ... تخال أديم الأرض منهن أبقعا
تؤلف منها بين شتى، وإنما ... نشتت من ألافها ما تجمعا
فكم ظاعن منهن مزمع رحلة ... قصرنا نواه دون ما كان أزمعا
وكم قادم منهن مرتاد منزل ... أناخ به منا منيخ فجعجعا
كأن بنات الماء فى صرح متنه ... إذا ما علا روق الضحى فترفعا
زرابى كسرى بثها فى صحانه ... ليحضر وفداً أو ليجمع مجمعا
تريك ربيعًا فى خريف، وروضة ... على لجة: بدعا من الأمر مبدعا

الرماة

لهم عدة تكفيهم كل عدة: ... بنات المنايا والحنى الموتر
يزلون عن أكباد كل حنية ... خفافًا مع الآجال تعلو وتقصر
نواها نواهم فى المنايا، كأنما ... موقعها فيما يشاءون تقدر
لها ألسن من تستفيق لهاتها ... يكاد لعاب الموت منهن يقطر

سيف

خير ما استعصمت به الكف عضب ... ذكر حده، أنيث المهز
ما تأملته بعينيك إلا ... أرعدت صفحتاه من غير هز
مثله أفزع الشجاع إلى الدر ... ع فعالى به على كل بز
ما يبالى أصممت شفرتاه ... فى محز أو جازتا عن محز

القيان الأتراك

(فى مجلس القاسم)

أظل إذا شاهدت يوم نعيمه ... كأنى فى الفردوس فوق الأرائك

بمرأى من الدنيا جميل ومسمع ... لدى ملك بالحق، لا متمالك

تحث الحسان المحسنات كؤوسه ... بمدح له قد سار جم المسالك

من الوضح اللعس الشفاه كأنما ... يفهن بأفواه الظباء الأوراك

يرفعن أصواتًا لدانا وتارة ... ينمنمن وشيا غير وشى الحوائك

كفلن لنا لما اصفقن حيالنا ... بترحيل أضياف الهموم السوادك[1]

فما برحت تهدى إلينا عجائب(١) ... عجائب تصبى كل صاب وناسك

فتاة من الأتراك ترمى بأسهم ... يصبن الحشا فى السلم لا فى المعارك

كأن زمير القاصبات أعارها ... شجاه وسجع الباكيات الضواحك

ظللنا لها نصبًا تشك قلوبنا ... بذاك الشجا الفتان لا بالنيازك

وما "جلنار" بالمقصر شاؤها ... ولا المتعدى قصد أهدى المسالك

لطيفة قد الثدى تسند عودها ... إلى ناجم فى ساحة الصدر فالك

تطامن عن قد الطوال قوامها ... وأربى على قد القصار الحواتك

ورقاصة بالطبل والصنج كاعب ... لها غنج مخناث، وتكريه فاتك

أتيح لها فى جسمها رفد رافد ... وأن نالها فى خضرها نهك ناهك

إذا هى قامت فى الشقوق أضاءها ... سناها فشقت عن سبيكة سابك

سبايا اليهن استباء عقولنا ... ممالك ملكن اقتدار الممالك

---

(١) الملازمة. (٢) اسم جارية.

السوداء الحسناء

(فى مجلس عبد الملك بن صالح)

سـوداء لـم تنتـسـب إلى برص ... الشـقـر ولا كلفـة ولا بهق

ليست من العبس الأكف، ولا ... الفلح الشفاه، الخبائث العرق

بل من بنات الملوك ناعمة ... تنشر بالدل ميت الشبق

فى لين سمورة تخيرها ... الفراء، أو لين جيد الدلق[1]

تذكرك المسك والغوالى والسـ ... ـك ذوات النسيم، والعبق

هيفاء زينت بخمص محتضن ... أوفى عليه نهود معتنق

غصن من الآبنوس ألف من ... مؤترز معجب ومنتطق

يهتز من ناهديه فى ثمر ... ومن دواجى ذراه فى ورق

أكسبها الحب أنها صبغت ... صبغة حب القلوب والحدق

فانصرفت نحوها الضمائر والأبـ ... ـصار يعنقن أيما عنق

يفتر ذاك السواد عن يقق ... من ثغرها كاللالئ النسق

كأنها والمزاح يضحكها ... ليل تفرى دجاه عن فلق

سمحاء كالمهرة المطهمة الدهـ ... ـماء تنضو أوائل السبق

الشراب فى الخمائل

وصفراء بكر، لا قذاها مغيب ... ولا سر من حلت حشاه مكتم

ينم على الأمرين فرط صفائها ... وسورتها حتى يبوح المجمجم

هى الورس فى بيض الكؤوس، وإن بدت ... لعينيك فى بيض الوجوه فعندم

---

(١) حيوان يقرب من السنور فى الحجم.

مذاق ومسرى فى العروق كلاهما ... ألذ من البرء الجديد وأنعم
إذا نزلت بالهم فى دار أهله ... غدا الهم وهو المرهق المتهضم
أقامت ببيت النار تسعين حجة ... وعشرا يصلى حولها ويزمزم
سقتنى بها بيضاء، فوها وكأسها ... شبيها مذاق عند من يتطعم
لدى روضة فيها من النور أعين ... ترقرق دمعًا، بل ثغور تبسم
بضاحك روق الشمس منها مضاحك ... مدامعه من واقع الطل سجم
كمستعير مستبشر بعد حزنه ... ليبين خليط قوضوا ثم خيموا
يغازلنى فيها غزلان منهما ... ربيب الفيافى والربيب المتوم
إذا نصبا جيدهما فكلاهما ... سواء وأبريق لدى مفدم[1]
ثلاثة أظب نجرها غير واحد ... لذى اللهو فيها كلها متنعم
غزال، وإبريق رذوم، وغادة ... تحرك من أوتارها وتنغم

فى وحيد المغنية

يا خليلى تيمتنى وحيد ... ففؤادى بها معنى عميد
غادة زانها من الغصن قد ... ومن الظبى مقلتان وجيد
وزهاها من فرعها ومن الخدي ... ـن ذاك السواد والتورید
أوقد الحسن ناره فى وحيد ... فوق خد ما شأنه تخديد
فهى برد بخدها وسلام ... وهى للعاشقين جهد جهيد
لم تضر قط وجهها وهو ماء ... وتذيب القلوب وهى حديد
ما لما تصطليه من وجنتيها ... غير ترشاف ريقها تبريد

(١) المفدم الذى عليه القدام وهو شبه مصفاة.

مـــثل ذاك الرضـــاب أطفـــأ ذاك ... الوجـد لولا الإباء والتـصـريد[1]

وغـرير بحسـنها قـال: صـفهـا! ... قلت: أمـــران، هين وشـــديد

يســـهل الـقـــول أنا أحـــسن ... الأشـيـاء طرا ويعـسـر التـحـديد

شـمس دجن، كلا المنيـرين - من ... شمس وبدر - من نورهـا يستفيد

تتـــجلـى للنـاظرين إليـــهـــا ... فـشـقى بحـسـنـهـا وسـعـيـد

ظبـيـــة تسكن الـقلوب وترعـــا ... ها، وقـمـــرية لهـــا تـغـريد

تتـــغنـى، كـــأنهـــا لا تغنى ... من سكون الأوصـالِ، وهى تجيد

لا تراهـا هناك تجـــحظ عـــين ... لـك منـهـــــا، ولا يدر وريد

من هـدو وليس فـــيـــه انقـطاع ... وســـجـــو ومـــا به تـبليـــد

مـد فى شـأو صوتهـا نفس كـاف ... كـأنفـــاس عـاشـقـيـهـا مـديد

وأرق الـدلال والـــغـنـج مـــنـه ... وبراه الشـــجـــا فكاد يـبـيـد

فـتـراه يـمـوت طوراً ويـحـيـا ... مـســتلذ بسـيطه والنشـيـد

فـيـــه وشى، وفـــيـه حـلى من ... النغم مصـوغ يختال فـيه القصيد

طاب فـــوها ومـــا ترجع فـيـــه ... كل شىء لـهـا بـذاك شـهـيـد

ثغب[2] ينقـع الصـــدى، وغـناء ... عنده يوجـد السـرور الفـقـيـد

فلهـــا الـدهر لاثم مـــســـتـــزيد ... ولهـا الدهر سـامـع مـسـتـعـيد

فى هوى مـــثـلهـــا يخف حـليم ... راجح حلمـــه، ويغـوى رشـيـد

مـا تعـاطى الـقلوب إلا أصـابت ... بهـــــواها منهـن حـــيث تـريد

وتر العـــزف فى يديهـا مـــضـاه ... وتر الرجف فـــيـه سـهـم شـديد

---

(١) صرد الرجل سقاه دون الرى. (٢) الغدير لا تصيبه الشمس فيبرد الماء.

وإذا أنبضته للشرب يومًا ... أيقن القوم أنها ستصيد
معبد في الغناء وابن سريج ... وهي في الضرب زلزل وعقيد
عيبها أنها إذا غنت الأحرار ... ظلوا وهم لديها عبيد
واستزادت قلوبهم من هواها ... برقاها، وما لديهم مزيد

***

وحسان عرضن لي، قلت: مهلا ... عن وحيد فحقها التوحيد
حسنها في العيون حسن وحيد ... فلها في القلوب حب وحيد
ونصيح يلومني في هواها ... ضل عنه التوفيق والتسديد
لو أرى من يلوم فيه، لأضحى ... وهو المستريث والمستزيد
ضلة للفؤاد يحنو عليها ... وهي تزهو حياته وتكيد
سحرته بمقلتيها فأضحت ... عنده والذميم منها حميد
خلقت فتنة غناء وحسنا ... ما لها فيهما جميعًا نديد
فهي نعمى، يميد منها كبير ... وهي بلوى، يشيب منها وليد
لي حيث انصرفت منها رفيق ... من هواها، وحيث حلت قعيد
عن يميني وعن شمالي وقدامي ... وخلفي، فأين عنه أحيد؟
سد شطان حبها كل فج ... إن شيطان حبها لمريد
ليت شعري إذا أدام إليها ... كرة الطرف مبدئ ومعيد
أهي شيء لا تسأم العين منه؟ ... أم لها كل ساعة تجديد؟
بل هي العيش لا يزال متى أستـ ... ـعرض يملى غرائبًا ويفيد
منظر، مسمع، معان من الهو، ... عتاد لما يحب عتيد

لا يدب الملال فيها، ولا ينقض ... من عقد سحرها توكيد
حسنها فى العيون حسن جديد ... فلها فى القلوب حب جديد

* * *

أخذ الله يا وحيد لقلبى ... منك ما يأخذ المديل المقيد
حظ غيرى من وصلكم قرة ... العين، وحظى البكاء والتسهيد
غير أنى معلل منك نفسى ... بعدات خلا لهن وعيد
ما تزالين نظرة منك موت ... لى مميت، ونظرة تخليد
نتلافى، فلحظة منك وعد ... بوصال، ولحظة تهديد
قد تركت الصحاح مرضى ... يميدون نحولا وأنت خوط يميد
ضافنى حبك الغريب، فألوى ... بالرقاد النسيب فهو طريد
عجبًا لى، أن الغريب مقيم ... بين جنبى، والنسيب شريد
قد مللنا من ستر شىء مليح ... نشتهيه، فهل له تجريد!
هو فى القلب وهو أبعد من ... نجم الثريا فهو القريب البعيد

رثاء بستان المغنية

إنا إلى الله راجعون لقد ... غال الردى سيرة من السير
ما أولع الدهر فى تصرفه ... بكل زين له ومفتخر
يعدو على نفسه فيسلبها ... الاعتاد المعد ذى النمر
كم ملبس لا يعاب هتكه ... عن جلده منه شئنة الوبر[1]
أودى ببستان وهى حلته ... فقد غدا عاريا من الحبر

(١) الشئن الغليظ.

أطار قمرية الغناء عن الأرض ... فأى القلوب لم يطر
لله ما ضمنت حفيرتها ... من حسن مرأى وطهر مختبر
أضحت من الساكنى حفائرهم ... سكنى الغوالى مداهن السرر
مطيبى كل تربة خبثت ... ومؤنسيها بشر مجتور
يا حر صدرى على ثلاثة أمواه ... هريقت فى الترب والمدر
ماء شباب ونعمة مزجا ... بماء ذاك الحياء والخفر
لو يعلم القبر من أتيح له ... لا نحفر القبر غير محتفر
أو لأباها، فصان حينئذ ... عن رمسه درة من الدرر
أن ثرى صمها لأفضل محجو ... ج لصب وخير معتمر
أقسمت بالغنج من ملاحظها ... وسحر ذاك السجو والفتر
لو عقرت حول قبرها بقر ... الأنس مكان الفلاص والمهر
والدر نظم على الترائب منهن، ... وأشكاله من العتر
وانتحرت فى فنائه بهم الحرب ... وصيد الملوك من مضر
ثم سبقت الدماء تربتها ... لم أشف ما فى الفؤاد من وحر
نفسك يا نفس فانحرى أسفا ... فإن هذا أوان منتحر
ما حسن أن تذوب مهجتها ... ومهجتى لم ترق ولم تمر
لا ينكر الدهر بعد مهلكها ... هلك ذوات الجلال والخطر
بستان يا حسرتا على زهر ... فيك من اللهو، بل على ثمر
بستان لهفى لحسن وجهك ... والإحسان، صارا معًا إلى العفر
بستان أضحى الفؤاد فى وله ... يا نزهة السمع منه والبصر

بستان ما منك لامرئ عوض ... من البساتين، لا ولا البشر

بستان سقيت من مدامعنا الدمع، ... وأعقبت عقبة المطر

بل حق سقياك أن تكون من ... الصهباء، صهباء حمص أو جدر

بل من رحيق الجنان يقطب ... بالمسك، سلالاته بلا عكر

بل من نجيع القلوب يمزج بالعطف ... وصفو الوداد لا الكدر

يا نعمة الله فى بريته ... أصبحت إحدى فواقر الفقر

يا غضة السن يا صغيرتها ... أمسيت إحدى المصائب الكبر

أنى اختصرت الطريق يا سكنى ... إلى لقاء الأكفان والحفر

أنى تجشمت فى الحوادث ما ... جشمت من كرة ذلك السفر

أحميك من مورد قصدت له ... لا ينتهى ورده إلى صدر

يا شمس زهر الشموس، يا قمر ... الأقمار حسنًا، يا زهرة الزهر

أبعد ما كنت باب مبتهج ... للنفس أصبحت باب معتبر

أصبحت كالتراب غير راجحة ... به، وقد ترجحين بالبدر

أصابنا الدهر فيك أكمل ما كنـ ... ـت، فما رزؤنا بمجتبر

لم تقحمك العيون من صفر ... ولا قلتك النفوس من كبر

فكيف تسلوك والأسى أبدا ... فى كبر، والسو فى صغر

كل ذنوب الزمان مغتفر ... وذنبه فيك غير مغتفر

تبتل العود عند فقدكم ... وازدجر اللهو كل مزدجر

وغاب عنا السرور بعدكم ... واحتضر الهم حين محتضر

وفاض ماء النعيم يتبعكم ... وانهمر الدمع كل منهمر

فإن سمعنا لمزهر وترا ... حن، فهاتيك عولة الوتر

أما ولؤم البلى وقسوته ... لقد محا منك أحسن الصور

يا بشرا صاغه المصور من ... نور على سنة من الفطر

بل من شعاع العقول حين ترى ... الغيب بعين الذكاء والعبر

لا تحسبونى غنيت بعدكم ... عنكم بشمس الضحى ولا القمر

لا تحسبونى أنست بعدكم ... إلى نسيم الشمال بالسحر

لا تحسبوا العين بعدكم سرحت ... فى مسرح من مسارح النظر

يأبى لها ذاك أن ناظرها ... فى شغل بالسهاد والعبر

وكيف بالنوم للمباشر أطرا ... ف حمات الحيات، والأبر

سقيا ورعيا لعيشه معكم ... أصبحت من عهدها بمفتقر

أمتعنى دهرها بغبطته ... على الذى كان فيه من قصر

كانت لياليه كلها سحرا ... وكان أيامهن كالبكر

لهو أطفنا ببكر لذته ... وإن حظينا بمونق الزهر

كم قد شربت الرضاب فى قبل ... كانت، ولكن شربت بالغمر[1]

جدوى فم فيه لؤلؤ وجنى ... نحل بماء السحاب فى النقر

غناؤه يشتكى حرارته ... وريقه يشتكى من الخطر

كنتم لنا فتنة من الفتن!! ... غر بلا شهوة من الشهر

* * *

كأننى ما طلعت مقبلة ... على يوما بأملح الطرر

---

(١) القدح الصغيرة.

فى كـــفك الـعـــود وهـو يؤذن ... بالإحـســان أيذان صـادق الخـبـر
إذ مـــشـيكم مـــذكـــرى غناءكم ... مـشى الهـوينـى سـواكن البـقـر
وإذا فـــســـادى بكم يذكـــرنى ... "لتـفسـدن الطواف فى عمـر"[1]
كـأن عـينى مـا أبصـرتك ضـحى ... فى مجـلسى - والوشاة فى سـقر
كـأنها مـا رأتك كـالملك الأصيـد ... فى التـــاج يوم مـبـتـــهـــر
يا أحـــسن العـــالمين حـــاســـرة ... وأكـمـل الناس عند مـــعـتـــجـر
كـــأنهـــا مـــا رأتك صـــادحـــة ... والصـــدح الورق عـكف الزمـــر
يسمـعن، أو يستـفدن منك شـجا ... والتـمـر يمـتـار من قـرى هجـر
كـأننى ما اقـترحت مـا اقتـرحت ... نفس، فـسـاعـفـتنى بلا زور[2]
كـأننى مـا استـعـدت مقـترحى ... يومًـــا فكـررته بلا ضـــجـــر
وصنت خدا كساه خـالقه الحسن، ... فـصـــعـــرته عن الصـــعـــر
ولو تـكبـــرت كـنت مـعـــذرة ... والمسك مـــا لا يـعـــاف بالذفـــر
كـــأننى مـــا نعـــمت مـنك ... بمرتـاح نعـــيم ولا بمـبـــتـكر
رضـيـت من منظر بطيـف كـرى ... يعـــرو، ومن مـــســـمع بمذكـــر
لولا الـتـــعـــــزى بـذاك آونة ... لا نفـطر الـقلـب كل مـنفـطر[3]
مـا انتـــهك الدهر قـبـلكم لذوى ... اللهـو حريمًـا فى البـدو والحضـر

---

(١) يشير إلى قول عمر بن أبى ربيعة من أبيات له:

"أبصـرتها ليلة ونسـوتهـا ... بمشـين بين المـقام والحـجر
قالـت لها أخـتها تعاتبـهـا ... لا تفسدن الطواف فى عمر"

ولعل بستان كانت تغنى هذه الأبيات.

(٢) الزر الميل. (٣) أى لولا التعزى بوصلها فى الخلد.

أبكيك بالدمع والدماء بل التسهاد بل بالمشيب فى الشعر
بل بنحول العظام محتقرا ذاك وإن كان غير محتقر
بل باجتناب الشفاء بل بتوخى النفس ما يتقى من الضرر

* * *

لا أسأل الله حسن مصطبر فإنه عنك لؤم مصطبر
وحزن نفسى عليك من كرم وهو على من سواك من خور
وقد يعزى الفؤاد أنك فى جنة عدن غدا وفى نهر
سيشفع الحور فيك أنك منهن بذاك الدلال والحور

هجاء أبى سليمان المغنى

ومسمع لا عدمت فرقته فإنها نعمة من النعم
يطول يومى إذا قرنت به كأننى صائم، ولم أصم
إذا تغنى النديم ذكره أخذ السياق[1] الحثيث بالكظم
يفتح فاه من الجهاد كما يفتح فاه لأعظم اللقم
مجلسه مأتم اللذاذة والقصـ ـف وعرس الهموم والسدم[2]
ينشدنا اللهو عند طلعته: "من أوحشته البلاد لم يقم[3]
كأننى طول ما أشاهده أشرب كأسى ممزوجة بدمى
تشهده فرط ساعتين فينـ ـسيك عهوداً لم تؤت من قدم
يريك ما قد عهدت فى أمسك الأدنى، كشىء فى سالف الأمم

---

(١) الاختصار. (٢) الهم مع الندم.
(٣) كناية عن اللهو أن يستوحش فيرحل.

عشرته عشرة تبارك فى الأعـ ـمار لولا تعجل الهرم
إذا الندامى دعوه آونة تناموا كأسهم على ندم
نبرد، حتى يظل ينشدنا: هل بالديار الغداة من صمم!
يستطعم الشرب أن يقال له "أحسنت" والقوم منه فى وكم[1]
وكيف للقوم بالتصنع؟ لا كيف، ولو صوروا من الكرم
يظهر فى وجهه إساءته كأنها مسحة من الحمم
يسود من قبح ما يجىء به حتى كأن قد أسف بالفحم
يرتاح منه إلى الآذان كما يرتاح ذو شقة إلى علم
يشدو بصوت يسوء سامعه تبارك الله بارئ النسم
أبح فيه شذور حشرجة منظومة فى مقاطع النغم
نبرته غصة، وهزته مثل نبيب التيوس فى الغنم
لو قدس الله ذو الجلال به لم يرفع الله طيب الكلم
يفزع الصبية الصغار به إذا بكا بعضهم ولم ينم
يقسو له القلب - حين يسمعه - على أحبائه بلا جرم
أحلف بالله لا شريك له فإنها غاية من القسم
ما عرف الله قبله أحدا ما فضل نعمائه على النقم

هجو شنطف

شنطف يا عوذة السموات والأر ض وشمس النهار والقمر
إن كان إبليس خالقًا بشرا فأنت - عندى - من ذلك البشر
صورك المارد اللعين فأعطتـ ـك يدته مقابح الصور

(١) شدة الحزن والجزع.

هجو كنيزة

شاهدت فى بعض ما شاهدت مسمعة ... كأنما يومها يومان فى يوم
تظل تلقى على من ضم مجلسها ... قولا ثقيلا على الأسماع كاللوم
لها غناء يشيب الله سامعه ... ضعفى ثواب صلاة الليل والصوم
ظللت أشرب بالأرطال لا أطربا ... عليه بل طلبًا للسكر والنوم

طلاب المآدب

(قصيدة فيها وصف ودعابة قالها فى أبى شيبة
ابن الحاجب وكان قد دعاه واستتر عنه)

نجاك يا ابن الحاجب الحاجب، ... وأين ينجو منى الهارب!
أبعد أحرازك إيمانا ... هاريتنا واعتذر الحاجب؟
يا عجبًا إذ ذاك من حالة ... دافعنا فيها هو الجاذب
حقًا لقد أوليتنا جفوة ... يمحل منها البلد العاشب
انظر بعين العدل تبصر بها ... أنك عن منهاجه ناكب

***

لهفى وقد جاءتك جفالة ... كل مغذ ساغب لاغب
من كل شذان الحشا لهسم[1] ... يأكل مالا يأكل الحاسب
فكاه كالعصرين من دهره ... كلاهما فى شأنه دائب
ذى معدة ثعلبها لاحس ... وتارة أرنبها ضاغب
تعلوه حمى شره نافض ... لكن حمى هضمه صالب

(١) لهسم أكل جميع ما على المائدة.

كـــأنما الفـــروج فى كـــفـــه فـــريسـة ضـــرغـــامـهـــا دارب
وإن غـــدا الشـبـــوط قـــرنا لهم فـــخـــذ شـــبـــوطهم التـــارب
أقـــسـمت لو أنك لا قـــيـتـــهم نابك من أضـــــراســـــهم نـائب

* * *

أبشـــــر بكر عـــــاجل أنـنى بالثـأر فـى أمـثـالـهـا طالب
لا تحـــسـبـنى عنك فى غـــفلة عـودى وشـيك أيهـا الصـاحب
قلت لصـحـبى حين راوغـتـهم: "لا تحـزنوا، قـد يشهـد الغـائب
سـيـــصنع الـله لنا فـى غـد إن كـــان أكـدى يومنا الخـائب
كـرورا على الشـيخ بتـطفـيلة عن عـــزمـة كـوكـبـهـا ثاقب
وإن زواه مـنكـم جـــــانـب فـــلا يفـتـكم ذلك الجـــانب
جوسـوا عليه الأرض واستخـبروا حـــتى يروح الخـبـــر العـــازب
لا تنجـــون منكم شـــبـــابـيطه لا أفـلت الـطـافـى ولا الراسـب
جـدوا فـــقـد جـد بكم لاعـــبـا وقـــد يـجـــد الرجل الـلاعب
ولـيكـن الكـر عـلى غـــــرة والصـــيـــد فى مـــأمنه ســارب
مـــقـالة قـــمت بهـــا خـاطبـا وقـــد يصـيب الـغـرة الخـــاطب

* * *

فـــاعـتـــزم القـــوم على غـــارة ســـاند فـيـــهـا الـراجل الراكب
يهـدى أبو عثـمان كـردوسهـا[1] هذاك، ذاك الـطاعن الـضـــارب
يرقـل والرايـة فى كـــــفـــــه قـــد حـفـهـا الرامـح والناشب

(١) طائفة الخيل.

والقـوم لاقـوك فـأعـدد لهم ... مـا يـرتضى الآكل والـشـارب
يسـر فـراريجك مـقـرونة ... بهـا شـبـابيطك يـا كـاتب
تلك الـتى مـخـبـرهـا ناعم ... تلـك التى مـنظـرها شـاحب
واذكـر بقلب غـيـر مـسـتـوهل ... يعـروه من ذكـرى القـرى ناخب
إنك مـن جـيـران قطـر بل ... وعنـدك اللقـحـة والحـالب
فـساسق حليـب الكرم شـرابه ... إذ ليـس من شـا،هم الـرائب
أحـضرهم البكر التى مـا اصطلت ... نـارًا، فكـل خـاطب راغـب
تلـك التى مـا بايـتت راهبـا ... إلا جـفـا قنديـله[1] الراهب
تلك الـتى ليس لهـا مـشبـه ... فـى الكـأس إلا الذهـب الذائـب
أو أمـهـا الكبـرى[2] التى لم يزل ... لليـل من طلعـتـهـا جـانب
حـقـقـهـا بالشـمس أن ربيب ... فى حـجـرها، والشبـه الغـالب
أعـجب بتلك الـبكر مـحـجـوبة ... مكـروبة يجـلى بـهـا الـكارب
مـغـلوبة فى الـدن مـسلـوبة ... لهـا انتـصـار غـالب سـالب
بينـا ترى فى الزق مـسـحـوبة ... إذ حكمت أن يسـحب الساحب
تقـتص من واترها صـرعـة ... لـيس لـهـا باك ولا نـادب
إلا حـمـام الأيك فى أيـكة ... أو عـازف للشـرب أو قـاصب
ذان نسـيـم مـسكـه فـائح ... وذات لون ورسـه خـاضب
هاتـيك هاتيـك على مـثلهـا ... حـام ولاب الحـائم الـلائب
والنقـل والريحـان من شـأنهم ... فـلا يعب فـقـدهمـا عـائب

(١) كناية عن إشراقها والاكتفاء بسناها.

(٢) أو لا شبه لها غلا أمها الكبرى وهى الشمس التى تمزق طلعتها الظلام.

ولا تنم عن نرجس مؤنس ... يضحك عنه الزمن القاطب

ريحان روح منهب عطره، ... والروح إذ ذاك هو الناهب

لم يلقح الصيف له صفحة ... ولا سقاه عوده الشاسب[1]

وزخرف البيتن كما زخرفت ... روضة حزن جادها هاضب

واجلب لهم حسناء فى شدوها ... لكل ما سره - جانب

محسنة ليست بخاءة ... طائرها الهادل لا الناعب

بيضاء خودا ردفها ناهد ... غيداء رودًا ثديها كاعب

مملوكة بالسيف مغصوبة ... لها دلال مالك غاصب

تستوهب الجيد إذا أتلعت ... من ظلبة أفرغها طالب

نعيم من نادمها دائم ... وبرح من فارقها واصب

كأنها والبيت مستضحك ... والعود فى قبضتها صاخب

أدمانة تنزب فى روضة ... جاوبها خشف لها نازب[2]

وأصيب عليهم تحفًا جمة ... يحمى بهن الموعد الكاذب

واغرم لهم من بعد ذا كله ... ما نفل الملاح والقارب

وتب من الذنب الذى جئته ... فقد يقال[3] المذنب التائب

كيفما يقولوا حين ترضيهم: ... يا حبذا المنهزم التائب

***

(١) اليابس.

(٢) غزالة تصوت فيجأوبها ولدها - كناية عن مجاوبة العود لغناء المغنية.

(٣) يعفر له.

أعتب بيوم صالح فيهم ... ليس على أمثاله عاتب
ولا يكن يومًا إذا ما انقضى ... صبح به: لا رجع الذاهب
عجل لهم ذاك ولا تهجم ... ولا يثبت منك بهم وائب
فليس من يأدب إخوانه ... مؤدبًا للقوم بل آدب
أخلفنا نوءك موعوده ... فلا تصبنا ريحك الحاصب
حاشاك أن يلقاك مستمطر ... ومزنك الصاعق لا الصائب

اللوزنج

(وهو حلواء تنبه القطائف تؤدم بدهن اللوز)

لا يخطئني منك لوزينج ... إذا بدا أعجب أو عجبا
لم تغلق الشهوة أبوابها ... إلا أبت زلفاه أن يحجبا
لو شاء أن يذهب في صخرة[1] ... لسهل الطيب له مذهب
يدور بالنفخة في جامه ... دورًا ترى الدهن له لولبا
عاون فيه منظر مخبرا ... مستحسن ساعد مستعذبا
كالحسن المحسن في شدوه ... تم فأضحى مطربًا مضربا
مستكثف الحشو ولكنه ... أرق قشرا من نسيم الصبا
كأنما قدت جلابيبه ... من أعين القطر الذي قببا
يخال من رقة خرشائه[2] ... شارك في الأجنحة الجندبا
لو أنه صور من خبزه ... ثغر لكان الواضح الأشنبا
من كل بيضاء يحب الفتى ... أن يجعل الكف لها مركبا

(١) شمع العسل أو قشر البيض.
(٢) وفي رواية صحنه.

مـدهونـة زرقـاء، مـدفـونة شبهـاء، تحكى الأزرق الأشبهـا
ملـذ عـين وفـم، حـسنت وطيبت حتى صبا من صبا
ذيق لـهـا اللوز فـلا مـرة مـرت عـلى الـذائق إلا أبى
وانتـقـد السكر نقـاده وشـاوروا فـى نقـده المذهبـا
فـلا إذا العـيـن رأتهـا نـبت ولا إذا الضـرس عـلاهـا نبـا

الشبوط

فـلا يبـعـد الشـوط مـن مـتلبس ظهـارته الحسنى، ومن مـتـجـرد
إذا نش فى سـفـوده عند نضـجـه وأخـرج من سـربـاله المتـورد
فنى رعى مـرعى بدجلة مخـصبـا أبى أن يراه زائد غـيـر مـحـمـد
إلى أن أصـابتـه من الـدهر نوبة وقـد صـار أقصى منية المتـجـود
فـأصدره الصـياد عن خـير مـورد وأورده الشـواء أخـبـث مـسـورد
وجـاء بـه الحـمـال أطيـب مطعم إلى الطيب المنـفاق غـيـر المصـرد
ويا حـبذا إمـعـاننا فـيه نـاضجـا كـمـا جـاء مـن تنوره المتـوقـد
وإنى لمشـتـاق إلـى عـود مـثله وإن كنت أبدى صـفـحـة المتـجلد

الدجاجة

وسـمـيطة صـفـراء ديـنارية ثمنًا ولـونا زفـهـا لـك حـزور[1]
عـظمـت فكـادت أن تكـون أوزة ونوت فـكاد أهابهـا يـتـفـطر
ظللنا نقـشـر لحمـهـا عن جلدها وكـأن تـبـرًا عن لحـين يقـشـر

(١) غلام حزور بلغ القوة.

فواكه أيلول

لولا فـواكـه أيلول إذا اجتـمـعت ... من كـل نوع ورق الجـــو والماء
إذا لما حفلت نفسى مـتى اشتملت ... على هـائله الجـاليـن غـبـراء

الموز

إنه (الفـوز) مـثل مـا فـقـده (المو ... ت) لقـد بـان فـضله لا خـفـاء
ولهـذا التـأويـل سـمـاه (مـوزا) ... من أفـاد المـعـانى الأسـمـاء
رب فـاجعـله لى صلوحًـا وقيـلا ... وغـبـوقًـا ومـا أسـأت الغـذاء
وأرى - بل أبت - أن جـوابى: ... "لا تغـالط، فقد سألت البـقاء"
نكـهـة عـذبـة وطعم لـذيذ ... شـاهدًا نعـمـة على نعـمـاء
لو تكـون القلوب مـأوى طعـام ... نازعـتـه قلوبنـا الأحـشـاء
أننى للحـقـيق بالشبـع السائغ ... من أكـله وإن كـان مـاء

كرمة العنب الرازقى

ورازقى مـخطف الخـصـور ... كـأنه مـخـازن البلور
لـم يبـق منـه وهج الحـرور ... إلا ضـيـاء فى ظـروف نور
لو أنـه يبـقى عـلى الـدهور ... قـرط آذان الحـسـان الحـور
له مـذاق الـعـسـل المشـور ... ونكـهـة المسك مع الـكافـور

وبرد مس الخـصـر المـقـرور

باكـرتـه والطيـر فـى الوكـور ... - وعـذر الـلذات فى البكور -
بفـتـيـة من ولد المنـصـور ... أمـلأ للعـيـن من البـدور
حـتى أتينـا خـيـمـة الـناطور ... قـبل ارتفـاع الشـمس للذرور

فـانقض كـالطـاوى من الصـقـور بطاعـــة الراغب لا المجـــبـــور

ثم جلسنا مـــجلس المحـــبـــور على حـفافى جـدول مسـجور[1]

أبيض مـــثل المهـــرق المـنشـــور أو مـــثل متن المنصل المشـهـــور

ينســـاب مـثل الحـيـة المـذعـور بين ســـمـاطى شـجـر مـــسطور

فنـيلـت الأوطار فـى ســـــرور

وكل مـــا نقـــضى من الأمـــور تـعـلـة عـن يـومـنـا المـنـظـور

ومـــتـــعـــة من مـــتع الغـــرور

---

(١) ملآن.

النساء

أجنت لك الوجد أغصان وكثبان ... فيهن نوعان تفاح ورمان[1]

وفوق ذينك أعناب مهدلة ... سود لهن من الظلماء ألوان[2]

وتحت ذلك عناب تلوح به ... أطرافهن قلوب القوم قنوان[3]

غصون بان عليها - الدهر - فاكهة ... وما الفواكه مما يحمل البان

ونرجس بات سارى الطل يضربه ... وأقحوان مثير النور ريان[4]

الفن من كل شيء طيب حسن ... فهن فاكهة شتى وريحان

ثمار صدق إذا عاينت ظاهرها ... لكنها حين تبلو الطهم خطبان[5]

بل حلوة مرة، طورا يقال لها ... شهد، وطورا يقول الناس ذيقان[6]

يا ليت شعرى - وليت غير مجدية ... إلا استراحة قلب وهو أوسوان

لأى أمر مراد بالفتى جمعت ... تلك الفنون فضمتهن أفنان؟

تجاورت فى غصون لسن من شجر ... لكن غصون لها وصل وهجران

تلك الغصون اللواتى فى أكمتها ... نعم وبؤس وأفراح وأحزان

يبلو بها الله قومًا كى يبين له ... ذو الطاعة البر ممن فيه عصيان

وما ابتلاهم لأعنات ولا عبث ... ولا لجهل بما يحويه إبطان

لكن ليثبت فى الأعناق حجته ... ويحسن العفو، والرحمان رحمان

---

(١) (الأغصان) إشارة إلى القدود و (التفاح) الخدود والرمان النهة.

(٢) كرم الأعناب إشارة إلى مسترسل الشعور. (٣) (العناب) البنان المخضوب.

(٤) (النرجس) إشارة إلى الأعين و(الأقحوان) للثغور الناصعة الثنايا.

(٥) جمع أخطب: مر. ويقال أمر من نقيع الخطبان. (٦) سم.

ومن عجائب ما يمنى الرجال به ... مستضعفات لنا منهن أقران
مناضلات بنبل لا تقوم له ... كتائب الترك يزجيهن خاقان
مستظهرات برأى لا يقوم له ... قصير عمرو، ولا عمرو ووردان
من كل قاتلة قتلى، وآشرة ... أسرى أسرى لها فى الأرض أثخان
يولين ما فيه إغرام، وآونة ... يولين ما فيه للمشعوف سلوان
ولا يدمن على عهد لمعتقد ... أنى؟ وهن كما شبهن بستان
يميل طوراً بحمل ثم يعدمه ... ويكتسى ثم يلفى وهو عريان

امتزاج روحين

أعانقها، والنفس بعد مشوقة ... إليها: وهل بعد العناق تدان؟
وألثم فاها كى تموت حزازتى ... فيشتد ما ألقى من الهيمان
وما كان مقدار الذى بى من جوى ... ليشفيه ما ترشف الشفتان
كأن فؤادى ليس يشفى غليله ... سوى أن يرى الروحين تمتزجان

لحظة التوديع

رب كعاب فى حجاب لم تزل، ... مثل الغزال عنقًا ومكتحل
لم تكتحل مقلتها سوى الكحل ... ولا تحلى جيدها سوى العطل
ما زلت منها فى مطال وعلل ... حتى إذا ما قدر البين نزل
خلست منها نظرة على وجل ... آخرها أولها من العجل
ثم أجنتا غيابات الكلل

الشباب الراحل

أبين ضلوعى جمرة تتوقد ... على ما مضى؟ أم حسرة تتجدد؟
خليلى ما بعد الشباب رزية ... يجم لها ماء الشؤون ويعتد
فلا تلحيا إن فاض دمع لفقده ... فقل له بحر من الدمع يثمد
ولا تعجبًا للجلد يبكى، فربما ... تفطر عن عين من الماء جلمد
شباب الفتى مجلوده وعزاؤه ... فكيف؟ وأنى؟ بعده يتجلد
وفقد الشباب الموت، يوجد طعمه ... صراحًا، وطعم الموت بالنوت يفقد
وزئت شبابى عودة بعد بدأة ... وهن الرزايا بادئات وعود
سلبت سواد العارضين وقبله ... بياضهما المحمود إذ أنا أمرد
وبدلت من ذاك البياض وحسنه ... بياضًا ذميمًا لا يزال يسود
لشتان ما بين البياضين: معجب ... أنيق، ومشنوء إلى العين أنكد
تضاحك فى أفنان رأسى ولحيتى ... وأقبح ضحاكين شيب وأورد[1]
وكنت جلاء للعيون من القذى ... فقد جعلت تقذى بشيبى وترمد
هى الأعين النجل التى كنت تشتكى ... مواقعها فى القلب، والرأس أسود
فما لك تأسى الآن لما رأيتها ... وقد جعلت مرمى سواك تعمد
تشكى إذا ما أقصدتك سهامها ... وتأسى إذا نكبن عنك وتكمد
كذلك تلك النبل من وقعت به ... ومن صرفت عنه من القوم- مقصد[2]
إذا عدلت عنا وجدنا عدولها ... كموقعها فى القلب، بل هو أجحد
تنكب عنا مرة، فكأنما ... منكبها عنا إلينا مسدد

(١) الأدرد من ذهبت أسنانه.
(٢) مصاب.

كفى حزنًا أن الشباب معجل ... قصير الليالى، والمشيب مخلد

إذا حل، جارى المرء شأو حياته ... إلى أن يضم المرء والشيب ملحد

أرى الدهر أجرى ليله ونهاره ... بعدل، فلا هذا ولا ذاك سرمد

وجار على ليل لاشباب فضامه ... نهار مشيب سرمد ليس ينفد

وعزاك عن ليل الشباب معاشر ... فقالوا نهار الشيب أهدى وأرشد

وكان نهار المرء أهدى لسعيه ... ولكن ظل الليل أندى وأبرد

أيام لهوى هل مواضيك عود؟ ... وهل لشباب ضل بالأمس منشد؟

أقول وقد شابت شواتى، وقوست ... قناتى، وأضحت كدنتى[1] تتخدد

ودب كلال فى عظامى أدبنى ... جنيب العصا أنآد أو أتأيد

وبورك طرفى، فالشخوص حياله ... قرائن -من أدنى مدى- وهى فرد

ولذت أحاديثى الرجال، وأعرضت ... سليمى وريا عن حديثى ومهند

وبدل إعجاب الغوانى تعجبا ... فهن روان يعتبرن وصدد

لما تؤذن الدنيا به من صروفها ... يكون بكاء الطفل ساعة يولد

وإلا فما يبكيه منها وأنها ... لأفسح مما كان فيه وأرغد

إذا أبصر الدنيا استهل كأنه ... بما سوف سلقى من أذاها مهدد

وللنفس أحوال تظل كأنها ... تشاهد فيها كل عيب سيشهد

لعبت بأولى الدهر، فغتال شرتى ... بأخرى حقود، والجرائم تحقد

قصبرًا على ما اشتد منه، فإنما ... يقوم لما يشتد من يتشدد

يذيق الفتى طورى رخاء وشدة ... حوادثه، والحول بالحول يطرد

ومالى عزاء عن شبابى علمته ... سوى أننى من بعده لا أخلد

(١) اللحم المكتنز.

وأن مشيبي "واعد" بلحاقه وإن قال قوم أنه "يتوعد"

دمعة على الشباب

لا تلح من يبكي شبيبته إلا إذا لم يبكها يدم

عيب الشبيبة غول سكرتها مقدار ما فيها من النعم

لسنا نراها حق رؤيتها إلا زمان الشيب والهرم

كالشمس لا تبدو فضيلتها حتى تغشى الأرض بالظلم

ولرب شيء لا يبينه وجدانه إلا مع العدم

حلم زائل

رأيت سواد الرأس واللهو تحته كليل وحلم بات رائية ينعم

فلما اضمحل الليل زال نعيمه فلم يبق إلا عهده المتوهم

مصرع
أبى الحسين يحيى من أحفاد على

أمـامك فانظر أى نهـجـيك تنهج ... طريقـان شتى: مـسـتـقيم وأعـوج
ألا يهـدأ الناس طال ضـريريكم ... بآل رسول الله فاخـشوا، أو ارتجوا
أكل أوان لـلنبى مـحـمـد ... قـتـيل زكى بالـدمـاء مـضـرج
تبـيـعـون فـيـه الدين شـر أئمـة ... فلله دين الله، قـد كان يمـرج[1]

* * *

بنى المصطفى! كم يأكل الناس شلوكم؟ ... لبلواكم - عـمـا قليل - مـفـرج
أمـا فـيـهم راع لحق نبـيـه ... ولا خـائف من ربـه يتـحـرج
لقد عـمهـوا ما أنزل الله فـيكم، ... كأن كـتاب الله فـيهم ممجـمج[2]
ألا خـاب من أنساه منكم نصـيبـه ... مـتـاع من الـدنيـا قـليل وزبرج

* * *

أبعـد المكنى بالحـسـين شهـيـدكم ... تضىء مـصابيح السـماء فـتسـرج
لنا وعـلينا - لا عليـه ولا له - ... تسحـسح أسراب الدمـوع وتنشج
وكـيـف نبكى فـائزاً عنـد ربه ... له فى جنان الخلد عيش مخرفج[3]
وقد نال فى الدنيـا سناء ووصيـته ... وقـام مقـامًـا لم يقـمه مـزلج[4]
فـإن لا يكـن حـيًـا لدينـا، فـإنه ... لدى اللـه حى فى الجنان مـزوج

---

(١) مرج الدين اضطرب.

(٢) مجمج الكتاب لم يبين حروفه ولم يغد به.

(٣) عيش واسع ناعم. (٤) زلج فلانا تقدم.

وكنا مزجيه لكشف عماية ... بأمثاله أمثالها تتبلج

فساهمنا ذو العرش فى ابن نبيه ... ففاز به، والله أعلى وأفلح

أيحيى العلى لهفى لذكراك لفهة ... يباشر مكواها الفؤاد فينضج

لمن تستجد الأرض بعدك زينة ... فتصبح فى أثوابها تتبرج؟

سلام وريحان وروح ورحمة ... عليك، وممدود من الظل سجسج

ولا برح القاع الذى أنت جاره ... يرف عليه الأقحوان المفلج

ويا أسفى الا ترد تحية ... سوى أرج من طيب ومسك يأرج

إلا إنما ناح الحمائم بعد ما ... ثويت، وكأنك قبل ذلك تهزج

ألا أيها المستبشرون بيومه ... أظلت عليك غمة لا تفرج!

أكلكم أمسى اطمأن مهاده ... بأن رسول الله فى القبر مزعج!

فلا تشتموا وليخسأ المرء منكم ... بوجه كأن اللون منه اليرندج[1]

فلو شهد الهيجا بقلب أبيكم[2] ... غداة التقى الجمعان والخيل تمعج

لأعطى يد العانى، أو ارتد هاربا ... كما ارتد بالقاع الظليم[3] المهيج

ولكنه ما زال يغشى بنحره ... شبا الحرب حتى قال ذو الجهل أهوج

وحاش له من تلكم، غير أنه ... أبى خطة الأمر الذى هو أسمج

وأين به عن ذاك؟ لا أين - إنه ... إليه بعرقيه الزكيين محرج

كأنى به كالليث يحمى عرينه ... وأشباله لا يزدهيه المهجهج

كدأب على فى المواطن قبله ... أبى حسن-والغصن من حيث يخرج

---

(١) جلد أو طلاء أسود.

(٢) فلو نزل يحيى بن الحسين المعترك وقلبه متخوف كقلب أبيكم لسلم نفسه للأسر أو لولى هاربًا.

(٣) ذكر النعام.

كـــأنـــى أراه والرمـــاح تنـوشـــه ... شـوارع كـالأشطان تـدلى وتخلج

كـــأنى أراه هـوى عن جـــواده ... وعـفـر بالترب الجـبـين المشـجج

فحب به جسـمًا إلى الأرض إذ هوى ... وحب بهـا روحًـا إلى الله تعـرج

أأرديتم يحـيى! ولـم يطو أيطل[1] ... طرادًا ولم يدبر مـن الخـيل منسج

تأت لكم فـيـه منـى السـوء هينة ... وذاك لكم بـالغى أغـــرى والهج

تمدون فى كـغـيـانكم وضـلالكم ... ويسـتـدرج المغرور منكـم فيـدرج

أجنوا بنـى العـبـاس من شـنآنكم ... وأكوا[2] على ما فى العياب وأشرجوا[3]

وخلوا ولاة السـوء منكم وغـيـهم ... فأحر بهم أن يغرقـوا حيث لججوا

نظـار لكم أن يـرجع الحـق راجع ... إلى أهله يومًا، فتشجوا كما شجوا

على حـين لا عـذرى لمعـتـذريكم ... ولا لكم من حـجـة الله مـخـرج

فـلا تلحـقـوا الآن اللواقـح بينكم ... وبـيـنهـم، أن الـلـواقـح تنـتـج

غـررتم لأن صـــدقـتم أن حـــالة ... تدوم لكم، والدهـر لونان أخـرج

---

(١) الأيطل الخاصرة والمنسج ما بين العرف وموضع اللبد.

(٢) أوكى القربة شدها بالوكاء.

(٣) أشرج الخريطة داخل بين شراجها وشدها.

الظنون

يا أخى، أيـن ربع ذاك اللقـــاء؟ أين مـــا كـان بينـنا من صفـــاء
كـشـفت منك حـاجتى هنوات غطيـت برهة بحـــسن اللـقـــاء
تركـــــتنى ولـم أكن سيء الـظن أسيء الـظنون بـالأصـــدقـــاء
قلت - لمـا بدت لعـينـى شنعـــا رب شـوهاء فـى حـشـا حـسناء
ليـتنـى مـا هتكت عنكـن ستـرًا فـــشـــويـتن تحت ذاك الغـطاء
قلن: لـولا انكشـافنا مـــا تجلت عنك ظلمـــاء شـبـهـة قـتـمـاء
قلت: أعـجب بكن من كاسفات كـاشـفـات غـــواشى الظلـمـاء
قـد أفـدتننى - مع الخـبـر بالصـا حب - أن رب كاسف مـستـضاء
قلن: أعـــجب بمهـــتـد يتـــمنى لم يـزل علـى عـــمـــيـــاء
كنت فى شـبـهـة فـزالـت بنا عنـ ـك فـــأوسـعـــتنا من الازراء
وتمـنـيـت أن تكـون عـلـى الحـ ـيرة تحت الـعـمـاية الطخـيـاء
قلت: تـالله ليس مـــثـلى من رد ضـــلالا وحـــيـــرة باهتـــداء
غـيـر أنى وددت ستـر صـديقى بدلا بـاســتـــفـــادة الأنبـــاء
قلن: هذا هوى فـعـرج على الحـ ـق وخـل الهـــــوى لقلـب هواء
لـيـس فـى الحـق أن تـود لخـل أنـه الدهـر كـــــامـن الأدواء
بل مـن الحق أن تـنفـــــر عنـهن وغـلا فـــأنت كـالبـــعـداء
أن بحـث الطبـــيب عـن داء الد اء، لأس الشـفـاء قـبل الشـفـاء
دونك الكشف والـعـتـاب فـقـوم بهـــمـــا كل خـلة عـوجـــاء

وإذا مـا بدا لك العـر[1] يومـا فـتـتـبع نقـابه بالـهناء[2]

قلت: فى ذاك مـوتـكن، ومـا المـ ـوت بمستـعـذب لدى الأحـيـاء

قلن: مـا الموت بـالكرية إذا كـا ن بحـق فـلا تزد فـى المرادط

طينة الناس

واعـلـم بأن الـنـاس مـن طيـنـة يصـدق فـى الثلب لهـا الـثـالب

لولا عـلاج الناس أخـلاقـهم إذن لفـاح الحـمـا اللازب

اعتزال الناس

ذقت الطعوم فـما التذذت كـراحة من صـحـبـة الأشرار والأخـيـار

أأحب قـومًـا لم يحـبـوا ربهم الا لـفـردوس لـديه ونـار

المعدم فى أمان

مـا راح مغـبونًا بصـفقـة خاسـر من باع مـتـعـة فـائت بـأمـان

أمن امـرؤ من رزء شيء فـاته، والمدركـوه مـراقـبـو الحـدثان

وكـفى عـزاء لامـرئ من فـائت ألا يخـاف عليـه صـرف زمـان

القناعة

إذا مـا كسـاك الله سـربال سحـة ولم تخل من قـوت يحل ويعذب

فـلا تـغـبطن المتـرفـين فـإنهم على حسب ما يكسوهم الدهر بسلب

من هو الكريم؟

ليس الكريم الـذى يعطى عطيـتـه على الـثناء وأن أغلى بـه الثـمنا

بل الكريـم الذى يعطى عطيـتـه لغير شيء سوى استـحسانه الحسنا

---

(١) العر الجرب. (٢) القطران.

جزاء الإحسان

ولقد كافأ بالنعمى امرؤ ... كافأ النعمى بإخلاص الوداد
أن يكن نول نيلا من يد ... فلقد نول نيلا من فؤاد

الدرهم والسيف

لو أر شيئًا صادقا نفعه ... للمرء، كالدرهم والسيف
يقضى له الدرهم حاجاته ... والسيف يحميه من الحيف

الشرير

وليس بشرير ضليع بحجة ... رمى باطلا بالحق حين يخاصم
ولا واسم عرض امرئ كان ناله ... بسوء - وأن لامته فيه اللوائم
وما بى زهد فى التفضل: إنه ... لفضل، ولكن للرجال شكائم
ولكنما الشرير من عم شره ... وسولم بدءًا فاتلى لا يسالم
وعاد بإذعان له وتودد ... أخوه فلم تنفعه تلك التمائم
وكافأ إحسانًا بسوء ولم يزل ... يراجم بالمكروه من لا يراجم

الظلم

لانتقام المظلوم أربى على الظا ... لم، من ظلمه على المظلوم
صاحب الظلم إن تأملت كالرا ... تع فى المرتع الوبيل الوخيم
يجتلى أمره فيعلم أن قد ... باع ليل الكرى بليل السليم[1]
فهو من لوم نفسه حين يخو ... فى عرام وفى عذاب أليم
فقد أمرت حياته وشجته ... برجاء الندى والتندى
لو تجافى الخصيم عنه وأغضى ... لكفاه بنفسه من خصيم

(١) الملدوغ.

الملام

لا تكثـرن مـلامـة الـعـشـاق فكفـاهـم بالوجـد والأشـواق
إن البـلاء يطاق غـيـر مـضـاعف فـإذا تضـاعف كـان غـيـر مطاق
لا تطـفـئن جـوى بلـوم أنه كـالـريح تغـرى النار بـالإحـراق

السلو

أبت نفـسى الـهـلاع لزرء شىء كـفى شجـوا لنفـسى زرء نفـسى
أتهلـع وحـشـة لفـراق ألف وقـد وطـنتـهـا لحـلول رمس

الصبر

أرى الصبـر محمودًا وفيـه مذاهب فكيف إذا ما لم يكن عنه مذهب!
هناك يحق الصبـر، والصبر واجب ومـا كـان منه كـالضـرورة أوجب
هو المهـرب المنجى لمن أحـدقت به مكاره دهـر ليس منهن مـهـرب
لبـوس جـمال، جنة من شـمـاتة شـفـاء أسى، يـثنى به ويثـوب

إغراء المشيب

وتولى الشبـاب فازددت ركـضًـا فى مـيـادين باطلى إذ تـولى
إن من سـاءه الزمـان بـشىء لأحق امـرئ بأن يـتـسـلى

الفناء

إذا اخـتـط قـوم خـطة لمدينة تفـاضـتـهم أضـعـافًـا للمـقـابر
وفى ذاك مـا ينهـاهم أن يشـيـدوا وأن يقـتنوا إلا كـزاد المسـافـر

الحرب الأهلية

وما قتل بعض الحى بـعضًا بناهك قـواه إذا مـا جـاء حى يحـاربه
وما لطم بعض الموج فى البحر بعضه يمـانعـه تغـريق من هو راكـبـه

دفاعه عن شعره

لمن قـــال لى عـــرضت عـلى ... الأخفش[1] ما قـلته فـما حـمده
"قـصرت بالشـعر حـين تعرضـه ... على مـبين الـعـمى إذا انتـقـده
مـــا قـــال شـعـــرًا، ولا رواه، ... فـلا ثعلـبـه كـان، لا ولا أسـده
فـإن يقل أننى رويت، فكالدفـتـر ... جـهـلا بكل مـا اعـتـقـده
أرمت زيـنى بـأن تعـــرضـنى ... لمدحـــه؟ فـــالـذليل من عـنده
أم رمت شـيـنى بأن تعـــرضنى ... لثلبـه؟ فـالسـليم من قـصـده[2]
أنشـدتـه منطقى لـيـشـهـده ... فـغـاب عنه عـمى ومـا شـهـده
وقـال قـولا بغـيـر مـعـرفـة ... إفكًا - فـمـا حل إفكه عـقـده
شـعـرى شـعـر إذا تـأمله الأنـ ... ـسان ذو الفـهم والحجى عبـده
لكـنه ليس منطـقًـا بعث الـله ... بـه آية لمـن جـــحـــده
ولا أنا المـفـهم البـهـائم ... والطيـر سليـمـان قـاهر المردة
مـا بـلغت بى الخطوب رتبـة من ... تفـهم عنـه الكلاب والقـردة
وحـسب قـرد أراه يـحـسـدنى ... أن يسكـن الله قلبـه حـسـده
لا خـفف الله عـنه من حـسدى ... وزاده الله فـوقـه كـمـده
ولا تزل صـــورتـى إذا طلـعت ... لنـاظريـه قـــذاه بـل رمـــده

حملته على البحترى

الحظ أعـمى ولولا ذاك لـم نره ... للبـحـترى بلا عـقل ولا أدب

---

(١) هو على بن سليمان الأخفش.

(٢) الذليل من آزره الأخفش والسليم من قصده الأخفش بسوء.

قبحًا لأشياء يأتى البحترى بها ... من شعره الغث بعد الكد والتعب
كأنها حين يصغى السامعون لها ... ممن يميز بين النبع والغرب
رقى العقارب، أو هذر البناة إذا ... أضحوا على شعف الجدران فى صخب
وقد يجىء بخلط فالنحاس له ... وللأوائل ما فيه من الذهب
يسىء عفا. فإن أكدت وسائله ... أجاد لصا شديد البأس والكلب
عبد يغير على الموتى فيسلبهم ... حر الكلام بجيش غير ذى لجب
ما إن تزال تراه لابسًا حللا ... أسلاب قوم مضوا فى سالف الحقب
شعر يغير عليه باسلا بطلا، ... وينشد الناس إياه على رقب
يقول مستمعوه الجاهلون به ... أحسنت يا أشعر الحضار والغيب
والحكم فيه مبين غير ملتبس ... لو ريم فيه خاف الحق لم يصب
إذا أجاد فأوجب قطع مقوله ... فقد دهى شعراء الناس بالحرب
وإن أساء فأوجب قتله قودا ... بمن يميت إذا أبقى على السلب

التأسى

خليلى قد عللتمانى بالأسى ... فأنعمتما لو أننى أتعلل
وما راحة المزروء فى رزء غيره ... أيحمل عنه بعض ما يتحمل؟
وضرب من الظلم الخفى مكانه ... تعزيك بالمزروء حين تأمل
لأنك يأسوك الذى هو كلمه ... بلا جرم، لو أن جورك يعدل

حلم اليقظة

المرء فى حال التيقظ هاجع ... يرنو إلى الدنيا بمقلة حالم
وأخو الحجا أبدًا يجاهد طبعه ... فتراه - وهو محارب - كمسالم

التكلف

في الناس ذو حلم يسفه نفسه ... كيما يهاف وجاهل يتحلم

وكلاهما تعب يحارب شيمة ... غلبت فآض بحملها يتألم

الدهر الشاعر

الناس كالشعر تلقى الأرض جائشة ... بالجمع يزجى، وخير منهم رجل

والدهر شاعر آفات يفوه بها ... للناس يفكر تارات ويرتجل

الحزم

إذا طرف من حبلك أنحل عقده ... تداعت وشيكا بانتقاض مرائره[1]

فلا تغفلن أمراً وهى منه جانب ... فيتبعه فى الوهى لا شك سائره

الأصدقاء

عدوك من صديقك مستفاد ... فلا تستكثرون من الصحاب

فإن الداء أكثر ما تراه ... يحول من الطعام أو الشراب

إذا انقلب الصديق غدا عدواً ... مبيناً والأمور إلى انقلاب

ولو كان الكثير يطيب كانت ... مصاحبة الكثير من الصواب

وما اللجج الملاح بمرورياتٍ ... وتلقى الرى فى النطف العذاب

جمع المال

المال يكسب ربه ما لم يفض ... فى الراغبين إليه - سوء ثناء

كالماء تأسن بئره إلا إذا ... خبط الشقاة جمامه بدلاء

---

(١) أمر الحبل: فتله شديداً. والمرير من الحبال ما اشتد فتله.

حظه من الشعر

ويح القوافى ما لها سفسفت ... حظى كأنى كنت سفسفتها

ألم تكن هوجا فسددتها؟ ... ألم تكن عوجًا فثقفتها

كم كلمات حكت أبرادها ... وسطتها الحسن وطرفتها

ما أحسنت إن كنت حسنتها ... ما ظرفت إن كنا ظرفتها

أنحت على حظى بمبراتها ... شكرًا، لأننى كنت أرهفها

فرقته حين رققتها، ... وهفهفته حين هفهفتها

وكشفت دون الغنى سدها ... حتى كأنى كنت كشفتها

أحلف بالله لقد أصبحت ... فى الرزق آفتنى وما افتها

لم أشكها قط بتقصيرة ... فيها، ولا من حيفة حفتها

حرمت فى سنى وفى ميعتى ... قراى من دنيا تضيفتها

لهفى على الدنيا وهى لهفه ... تنصف منها أن تلهفتها

كم آهة لى قد تأوهتها ... قيها، ومن أف تأففتها